## العمارة الجديدة في اربيل الى اين ؟

# التلوث البصري في العمارة ومطلب الهوية المعمارية

شيرين احسان شيرزاد
باحثة واكاديمية

عندما يغادر المجتمع حقبة تاريخية متحولا الى سواها فانه يمر بمرحلة انتقالية حرجة تتطلب دعم مفاهيمه الجديدة ليتمكن من تثبيت ما يصبو لتحقيقه. وفي هذه الحالة يعمل المعمار مصمما ومفكرا نيابة عن مجتمعه باظهار افكار ومفاهيم واشكال يستعملها تلبية للمطلب الاجتماعي المستجد، وتستمر العملية حتى يكيف المفهوم والشكل الجديد ويطوره الى ما يناسب ذلك المجتمع خاصة ، عندما تتوفر للمعمار الوسائل المعرفية الكافية او الظرف الاجتماعي والاقتصادي الملائم لتوليد مفاهيم واشكال جديدة او تحديث تلك القديمة بما ينسجم مع المتطلبات الاجتماعية الحضارية الجديدة ثم ياتي دور التقييم والنقد ليظهر مدى نجاح العمارة المعنية من تامين متطلبات المجتمع وفي كفاءة التقنية ومدى توافقها مع البيئة المحلية ومطلب الهوية او الخصوصية.

ان للبعض من الممارسين ولكثير من الناس متعلمين كانوا او غير متعلمين افكارا ملتبسة ولو بدرجات متفاوتة عن دور ومسؤولية العمارة من تلبية الحاجات السائدة وبعث القيم الاجتماعية والثقافية، او حتى في دورها في تصعيد وتهذيب الملكات الفنية والحسية والجمالية للمجتمع. وبغض النظر عن النقص الموجود في التذوق الحسي وتنميته في هذه المنطقة فان هناك عزلة اجتماعية عن الفنون كافة والعمارة على وجه الخصوص.

ومن المؤسف ان تتعاظم هذه الانعزالية مما يؤلف وضعا متناقضا لا سيما وان المفروض ان تتوغل النشاطات الانسانية في صلب المجال المعماري الحيوي والتي لا مناص لها من ان تنعكس على قيم الذوق العام للمجتمع. وفي خضم الممارسات المعمارية غالبا ما ينهمك المعماريين في حل موضوعاتهم المحددة تاركين الجانب التفسيري والتقييمي للمشاهد مما يلقي المسؤلية على الناقد. وتبلغ المشكلة اقصاها عندما يقال في تعريف النقد انه منهج تدعمه نظريات تتناول مدارس او معماريين تعبر عن ما في نتاج هؤلاء من جوانب ايجابية او سلبية ولو كانت المسالة بهذه السهولة لأتفق على شيء ما. ان النظريات تتعارض والاقوال تتشعب والقيم تقوم وتنهار بل ربما اختل الاثر العظيم بين ايدينا اذا اخضعناه لتلك النظريات الموضوعة. لا شك ان العراق بشكل عام يفتقر الى التراث النقدي في العمارة وكردستان ليست استثناء. نحن لا نزال نعيش تجربة لم تختمر اثارها المعمارية بعد. نحن نمر بمرحلة حرجة يعبر عنها الناقد كما يعبر عنها المعمار وتاتي الحيرة التي تجتاح المعمار الممارس والمعمار الشاب. فالمرحلة تفرض طبيعتها ان لا يعطي العمل المعماري نفسه بسهولة للقارئ. فكم يكون عناء الناقد عندما ينظر ويتفحص موضوع العمارة التي تعتبر المرحلة المركبة للثقافة المادية والروحية للمجتمع.

من المؤسف ان نجد اليوم مدينة اربيل وهي مهددة بزوال القطاعات التاريخية القديمة من خلال الزحف العمراني الحديث وشق الطرق واستعمال الاراضي بعمران يتميز في اغلبه بعدم ملاءمته مع البيئة المحيطة وبتناقض مقصود في بعض الاحيان مع واقع البيئة المحلية وجغرافية المنطقة.

اربيل تعاني من انعدام الضوابط التخطيطية والعمرانية والقانونية اللازمة للحفاظ على خصوصيتها، كما تفتقر الى المسوحات التوثيقية التسجيلية الضرورية لتثبيت مفردات التراث المعماري والحضاري فيها.

لكي لا يفوت الاوان لنعمل معا لتسليط الضوء على ما تشهده عاصمة كردستان من تجارب معمارية شوهت معالم مركز المدينة القديمة المتميزة بقلعتها التاريخية.

اليكم بعض الامثلة ما الذي حصل في منطقة ( شيخ الله) هدمت مناطق سكنية وتجارية شاسعة باسم المركز المدني الجديد، وهدمت معها مقابر ذات قدسية لدى المجتمع الكردي ولا داعي للحديث عن "الداينصور" الذي ظهر في محيط المنطقة القريبة من القلعة فالصور تشهد على ذلك.

ان الخسارة لا يمكن قياسها ببساطة في عدد الابنية المشيدة كبديل. كما ان حجم التلوث البصري في خط الافق وما يرافقها من ضياع في خصوصية المدينة لا يمكن تعويضها بعمران تدعى العصرية او الحداثة.

ان القرارات غير المدروسة داخل مراكز المدن التاريخية او القريبة منها او تلك التي تقع على محاورها، والاهمال المستمر عبر السنين لهذه المراكز القديمة وتعرضها للخراب والتاكل وعدم وجود نص قانوني يحافظ على الابنية التراثية الخاصة بالقطاع الخاص وان وجدت فهي غير كافية، وعمليات شق الطرق في الاحياء القديمة باسم التجديد بحاجة الى وقفة ومراجعة. فالمعاصرة لا تعني الانقطاع عن الجذور واستيعابها لا يعني التفريط بتراث الامة الحضاري.

ويبدو ان للشكل المعماري وسيط في مجتمعاتنا يمنحه الصفة الشرعية فبعد ان يحقق المصمم الشكل المعماري تتقدم السلطة وتتبناه عند ذاك تمنحه الصفة الشرعية فارضة اياها على المجتمع وبفعل التكرار يرتبط بهوية المجتمع كما هو الحال في ظاهرة استخدام العمارة الصندوقية والواجهات الزجاجية والاكساءات الصقيلة.

وهنا لا بد ان نشير انه من الصعب ان نطلب من الافراد عمارة اصلية ومعاصرة بينما نشهد في المباني الحكومية مزيجا من الطرز المعمارية المستعارة واستخداما سيئا لمعطيات التكنولوجيا الحديثة.

للشكل في العمارة دور مهم وقيادي فهو الذي يسجل حضارة الامم حيث العمارة ملموسة وواضحة للعيان وحاضرة في كل مكان.

ان الشاهد الاكثر شمولا على ماضي وحاضر مدينة اربيل هي القلعة (قلعة اربيل التاريخية) وهي تجلس شامخة في مركز المدينة تعكس في ثناياها قصة الحياة المادية والمعنوية لفترة تاريخية تمتد الى الاف السنين.

كيف يمكن تجاهل هذا الارث العظيم؟ كيف يمكن ان نتجاهل مركزية تكوينها؟ كيف يمكن ان نتحاور معها لنعيد اليها مجدها من خلال احترام مقياسها الحضري؟ كيف يمكن ان نتعلم من تكوين نسيجها الحضري ومن تخطيطات دورها السكنية وتفاصيل زخارفها الانيقة؟ جمالها الطبيعي نابع من الهندسة التي قوامها الانتظام والتناسب.

عندما يمتد الاختلاف بشان الدروس التي يمكن تعلمها من هذا الارث العظيم يبلغ الاختلاف حدا يثير الاهتمام، ويكون اكثر من مجرد تعارض في الاذواق او الاراء ويصبح نزاعا بشأن الحقائق الحضارية ذاتها.

ان انتشار ظاهرة العمران غير المنسق والطرز المعمارية الغريبة ادت الى تدمير التناسق بين الماضي الانيق والحاضر الغريب.

والغريب انه معظم هذه الضغوط والتحديات على الماضي تاتي من المؤسسات الحكومية وبعض اصحاب القرار من سكان المدينة انفسهم واني اتساءل، اذا كانت النظرية الغربية للتخطيط العمراني في مدن العالم الغربي اصبحت هي النظرية الموجودة في منطقتنا وهي وسيلة مناسبة لاحياء المدن التاريخية ذات الطابع الشرقي؟ هل هذا هو الاتجاه الذي يناسب ثقافتنا ويحترم ارثنا ومشاعرنا ويجلب لنا حياة افضل؟ انفصال بين العمارة والتراث الثقافي والاجتماعي. ويبدوا ان اصحاب القرار منهمكون في الانماء الاقتصادي وحركة الاستثمار التي تطغى على كل الاعتبارات الاخرى.

ان المدن لو فقدت ماضيها هي كالرجل الذي فقد ذاكرته. امل ان توافقوني على ان شخصيتنا الثقافية هي ما يجب الحفاظ عليها في وجه الانماء الاقتصادي الذي يقدم الراحة المادية على حساب فقدان الشخصية والاغتراب.

علينا ان نكون حذرين من كل اثار الغزو المعماري الشكلي الاجنبي واجراءات المحافظة يجب ان تكون شاملة ولا تهدف الى الصيانة والحفاظ بل البحث عن الهوية المعمارية. ان فكرة مواكبة الغرب له ضرورة اذ لم يعد العلم حكرا على اقليم او ايدولوجية او اكاديمية بل اضحى العالم مرتبطا بوسائل وطرق عالمية فاصبحت المعرفة عامة اكثر من محلية.

وحتى الخصوصية اصبحت هي الاخرى متنوعة عبر الاقاليم والاقطار. هذه الحالة تفرض على المعمار المحلي تطوير خصوصية اطلاق المحلية الى افاق اوسع ليرتبط فيها بفلك العالمية ليتمكن من توسيع قاعدته التجريبية اي استحداث عمارة عالمية ذات صبغة محلية بمقومات وطنية وقومية حيث لا يمكن انعزال المجتمع عن المجتمعات الاخرى.

لا بد هنا من الاشارة ايضاً الى تقصير المعماريين الممارسين واصحاب القرار في تقبل مثل هذا التخبط الحاصل في البيئة العمرانية في مدينة اربيل.

فيما يلي استعراض لاهم المؤشرات التي تواجه العمارة المعاصرة في كردستان.

اتمنى من المسؤلين المساهمة في اتخاذ الاجراءات اللازمة بشأنها من اجل عمارة تحمل معها خصوصية المنطقة.

ان قضية العمارة تعد قضية اساسية من قضايا الثقافة باعتبارها صورة من حضارة وثقافة الامة وتجسيد لها.

ان استقصاء الظروف التاريخية والثقافية والاوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية يكشف عن الاسباب التي جعلت العمارة في كردستان ان تنفصم عن جذورها الحضارية.

ان السياسات العمرانية وحركة التشييد في كردستان في اغلب الاحوال تمضي من دون النظر الى متطلبات المجتمع والبيئة الفيزياوية وفي غياب البعد الثقافي الذي يتفاعل مع الحلول الملائمة للتخطيط المتكامل للمدينة الذي يجمع في توافق بين تراثها القديم وتشكيلها الجديد.

ان الدعوة الى تأصيل العمارة في كردستان لا يعني محاكاة التراث المعماري القديم او الاستنساخ منه وانما يعني النظر الى هذا التراث في ضوء المتغيرات والثوابت واستيحاء الحلول الملائمة النابعة من البيئة الطبيعية والعادات والتقاليد وهي دعوة للابتكار والتجديد استنادا الى رؤية معاصرة للتراث.

ان المعاصرة لا تعني اتباع الاتجاهات الحديثة في العمارة الغربية ومحاكاتها دون تميز بينها. كما انه لا توجد تناقض بين استخدام التقنيات الحديثة والاصالة ولكن اسلوب الموائمة بينهما يتطلب رصيدا من الادراك والثقافة وارادة واعية لمطلب التغيير.

اذا كان للاوضاع الاقتصادية والاجتماعية اثرها الذي يتطلب مراجعة فان غياب الوعي الثقافي عن المجتمع يشكل عائقاً اساسيا وهذا يتطلب الاهتمام بالبناء الثقافي للمجتمع وفي جميع مراحل التعليم. كما يتطلب مراجعة مناهج اعداد المعماريين في المنطقة الى جانب مواصلة السعي وتشجيع الاجهزة المؤسسية لدعم تيار التأصيل في منطقة كردستان.

انطلاقا مما تقدم اوجز بعض المقترحات : -

تنمية الوعي بالقيم العظيمة الموجودة في تراث وبيئة الأمة الكردية. وهذا يتطلب مراجعة مناهج التعليم واجهزة الاعلام والشباب للعمل المتكامل من اجل هذا الهدف ولا سبيل الى نهضة عمرانية او فنية من دون ان يكون المجتمع واعيا بقيمة تراثة ومدركا لها.

ان تعمل الاجهزة المسؤلة عن التخطيط العمراني والتشييد على وضع ضوابط ومعايير تكفل تشكيل البيئة العمرانية وتخطيطها بصورة تحفظ له مقوماته وطابعه وتحقق التناسق الذي اخذت المدينة بفقدانه بسبب غياب التشريعات والانظمة.

وان ينشد رقابة هذا الامر الى لجان متخصصة يشارك فيها رجال الثقافة مع المعماريين والفنانين التشكيلين.

ان من واجب الاجهزة المسؤلة تشجيع البناء الذاتي وفقا للتقاليد الموروثة وخاصة العمارة الريفية لما في ذلك محافظة على قيم اصيلة في هذه العمارة وضمان استمراريتها فضلا عن توفير الوفر الاقتصادي. وهذا يتطلب مراجعة لسياسة بناء المساكن الريفية التي تنكرت لكل التقاليد واهدرت العنصر الانساني في العمارة الشعبية الريفية.

احياء الحرف المتصلة بالبناء التقليدي وتشجيع اصحابها من مهرة الحرفيين ورعايتهم ضماناً لاستمرارهم في تنشئة اجيال جديدة.

اعداد المعماري باسلوب يستطيع ابتكار بصمات معمارية اصيلة معاصرة وهذا يتطلب تطوير مناهج الدراسة الحالية في اقسام العمارة في منطقة كردستان خاصة في مناهج تخطيط المدن ليفهم او يقيم البيئة. والتركيز على مادة تاريخ العمارة في المنطقة دراسة تحليلية، تقيمية، تسجيلية.

توجيه الدراسات العليا باتجاه دراسة خصوصية العمارة في كردسان، قيمها الابداعية، تاريخها.

تشجيع المسابقات المعمارية بين المكاتب الهندسية الاستشارية واقسام العمارة وعرضها في المجلات المختصة او الندوات المفتوحة.

تشجيع التاليف والنشر في ميدان العمارة والتخطيط الحضري في كردستان.

اصدار مجلة خاصة بالعمارة في كردستان.

تشجيع البحوث والدراسات الخاصة بالعمارة في كردستان: (انشاء مركز للدراسات المعمارية والتخطيطية في كردستان). يكون بمثابة مركز اشعاع فني وفكري. يعمل المركز على اصدار مطبوعاته ويمنح الجوائز ويعد الافلام الوثائقية عن العمارة في كردستان ويكون له قنوات اتصال مع الغرب والعالم العربي من خلال الجامعات والمتاحف ومراكز البحوث والجمعيات لتحقيق التنسيق وتبادل المعلومات.

رصد الاعتمادات اللازمة للحفاظ على المناطق والاحياء التاريخة وتخصيص منح واعانات وقروض لمالكي الابنية التراثية حتى يتسنى لهم الحفاظ عليها مع تقيد التصرف بها من دون موافقة السلطات.

مراجعة الاجهزة المسؤلة للتشريعات والنظم القائمة بحيث تحقق الحفاظ على المدن والاحياء التاريخية وما يحيط بها باعتبارها كلا متكاملا لا ينبغي صيانتها لذاتها بل يتطلب الامر حمايتها مما يقام حولها من بنايات حديثة تفسد وتشوه قيمة المدينة القديمة واصالتها.

# مايكل سمث .. دهشة بصرية وجمال غرائبي

محيي المسعودي
بابل

يطل علينا الفنان الامريكي مايكل سمث - وهو من اهم رواد الفن التشكيلي الرقمي العالمي - بشيئين جديدين في اعماله الاخيرة التي عرضت في جاليري رؤى وسط العاصمة الاردنية عمان. الأول يتمثل بالنحت الرقمي الخاضع للألة الحديثة والثورة المعلوماتية ويأتي هذا ضمن تقنية واسلوب الفنان اما الأمر الثاني فيتمثل في الأشكال والالوان الغرائبية التي يقدمها الفنان وخاصة اللون الأبيض والشكل البيضوي الممتلئ والمحاط بأشكال درنية تماثل الشكل الأصل لونا وشكلا والغالب على اعمال الفنان انها تمثل مخلوقات أو موجودات بحرية وبرية طبيعية ذات اشكال مختلفة.

ويترك المعرض إنطباعا لدى الزائر بأنه في عالم غريب يضعه امام اسقاطات ثقافته أو ذاكرته البصريتين ويفرض عليه حال من التداعي على ذلك العالم .واذا كان سمث قد حقق الأبهار والدهشة فأنه لم يستطع إخفاء الطابع الصناعي على بعض الأعمال ذات المواد الصناعية المختلفة التي نفذ بها تلك الأعمال وبتقنية واسلوب صناعيين-رقميين-ايضا مما أفرغ الأعمال من الحياة وسلبها قوة الأشياء الطبيعية وتأثيرها على المتلقي .وكأنني ببعض الأعمال تبلغ الذروة بالتقنية العالية والدقة الكبيرة والشكل المتميز المثير ولكنها لا تمتلك نبض الحياة الحي .. وبما ان الفن ينتمي للحياة بحكم مُنتجه الانسان " حساً وذوقا وفكرا وثقافة" لذلك كلما ابتعد العمل الفي عن عناصر الحياة كلما قل تأثيره على وجدان وشعور واحاسيس الأنسان . وتؤشر تجربة سمث بعض ملامح الفن الأمريكي الحديث والذي غالبا ما يعتمد التكنولوجيا اداة مساعدة في العمل أو أسلوبا للتنفيذ ويتخذ من الحياة العملية المادية للانسان الإمريكي موضوعا له. لذلك لا يعنى كثيرا بمساحات الحلم والمشاعر الإنسانيتين خارج رقعته الجغرافية البشرية. لم تظهر في أعمال سمث مساحات من هذا النوع حتى البوسترات المعروضة نفذت بتقنية صناعية عالية جدا وبالوان نظيفة نقية تدهش بصريا في خصائصها هذه ولكنها لا تنجح ابدا بأمساك خلجات الروح وانفعالات المتلقي أي أنها تأثر عليه ولكنها لا تستطيع إدخاله في عالمها أو دخوله حد التفاعل المستدام معها فتبقى على السطح تنتهي بانتهاء الدهشة التي عادة ما تكون لمدة قصيرة .. ويمكن الحديث عن مجمل الأعمال على اعتبارها اعمالا تجريدية ولكنها في كل الأحوال مثلها مثل النهج الفني العام في امريكا والذي ينظر للعالم ويفهمه وفق رؤيته الخاصة المبنية على خصائص المجتمع الأمريكي-المادية العلمية-وتبقى ثيمة اتصف بها الفنان سمث لابد من ذكرها وهي أنه عمل بأسلوب الطبيعة أي انه حرص على أن يكون عمله وكأنه انتاجا طبيعيا غير مقصود فذهب من اجل هذا الى اشكال تنتجها الطبية بعيدا عن تدخل الإنسان. هذا اضافة لحرفيته العالية.

يذكر ان سمث حصل عام ١٩٨٢ على دكتوراة في النحت من جامعة هاواي-هونولولو .

وفي عام١٩٧٩ حصل على ماجستير في النحت من جامعة سانت خوسيه كاليفورنيا .

وكان في ١٩٧٦ قد حصل على بكالوريوس تصميم جرافيكي من جامعة سانت خوسيه-كاليفورنيا .

واقام معارض فردية وجماعية ومعارض متنقلة في مناطق وجامعات وجاليريهات بلدان عديدة مثل : ( كاليفورنيا ، لوس انجلس ، المكسيك ، نيو يورك ، اليابان ، نيوزيلندا ،تركيا ) .

ويعتبر سمث رائدا في النحت الرقمي في العالم وادرج اسمه في كتب وابحاث ودراسات في هذا المجال.

# نساء .. معرض للفنان عباس باني حسن

المدى / خاص

يقيم الفنان عباس باني حسن معرضاً فنياً بمادة السيراميك تحت عنوان ( نساء ) في صالة لي روش في مدينة سان بريفان لي بان الساحلية في محافظة لوار أتلانتيك في فرنسا ، للمدة من ٦ آب . ٢١ أيلول.

وكان الفنان باني قد درس فن النحت في معهد الفنون الجميلة في بغداد بين أعوام ١٩٦٩ و ١٩٧٤ وعرف طريق المنفى بوقت مبكر نهاية سبعينيات القرن الماضي، متنقلا بين بلغاريا وايطاليا، حيث استغل وجوده القصير في بلغاريا بتطوير قابليته النحتية في أكاديمية ( صوفيا) للفنون الجميلة، كما استفاد من إقامته الطويلة في إيطاليا بالتعرف على أعمال فناني عصر النهضة، وبين عامي ١٩٨١ .١٩٨٣ استقر في مدينة ( نانت) في الغرب من فرنسا، جرب الرسم وقصاصات وصحف في كل مكان في البيت والمشغل الكبير.

كتب عنه الناقد الفرنسي جان بليشار "جاء عباس باني إلى حافة العالم مثلما يجيء المرء إلى حافة الماء في أمل العثور على الطمأنينة. أعطى ظهره إلى عراق مولده ولم يتوقف سعيه إلا في غرب الأرض الأوربية، هنا، حيث فرنسا تنتهي برمال (فنديّة) ممنوحة إلى هياج المحيط العظيم. رحلة بدون رجعة ممكنة ستدوم بعض عشرة سنوات. كان هذا زمن الاكتشافات ، اللقاءات والتجارب. كان هذا، أيضاً، زمن المحاولات والحيرة وبعض الأحيان الشك. تاركاً بلاده، أهله وثقافته ومن ثم العيش... الرسم ! مسيرته الطويلة منثورة بمحاولات براقة في سينما التحريك، أفلام قصيرة، بدايات غالباً بدون غد، متابعات واعدة لكن غير مكتملة، ثم في بعض المرات، ثمة عمل مميز في التصوير أو في النحت له ذوق النادر".

"إن جرح الهجرة عميق وإن انفتاحه، البطيء، على الثقافة الأوربية، لم يجعله يتجرد عن طبيعته الشخصية؛ يعرف باني إنه يحمل دائماً في ذاته خمائر لعمل خطر ومؤلم".

"روحه قلقة لا تنسجم مع فن يستند على الخطابات. إنه يريد من خلال أعماله أن يقول لنا شيئا مدويا بأي حال. التصوير هو حالة طوارئ. فكل صورة هي تشخيص ضروري يروي مأساة الأحداث؛ المذابح، التعذيب وجنون الرجال المدفوعين بحب الحروب ".